أنيس منصور يكتب من واشنطون

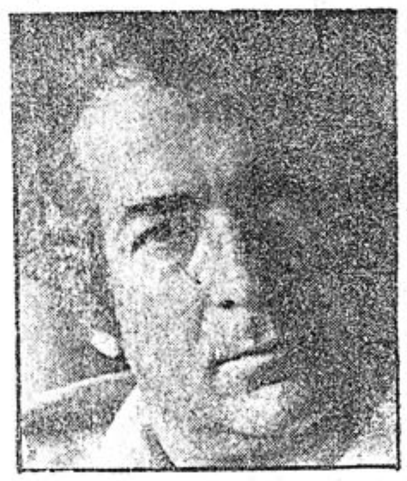

- عندما قال بيجن : كل شىء قابل للتفاوض .. كان يقصد كل البديهيات أيضًا !

- أكثر من رأى فى إسرائيل : رأى الحكومة .. ورأى الوزراء إنها .. لعبة تعدد المقاعد التى يجلس عليها المفاوض الإسرائيلى !

- فى أسوان .. قال كارتر للسادات : أنت تنافسنى فى أمريكا

- إسرائيل وليبيا .. تساعدان أثيوبيا ، فطلب السادات مساعدة الصومال !

- تصفية القضية الفلسطينية بإعلان الدولة المارونية فى لبنان ، وضم الضفة الغربية للأردن

- إعلان المنظمة أنها لم توكل مصر فى الدفاع عن فلسطين : يدفعنا إلى الحل المنفرد !

- لا حل : إلا إذا تعلم الحصان .. كيف يأكل اللحم !

● اختار الرئيس كارتر والسادات عزلة كاملة بعيدا عن العدسات والميكروفونات . وجلس الرجلان أكثر من خمسين ساعة معا !

ويرفضونكم . . ولا يريدون أن يضعوا أيديهم فى أيديكم . . . ومن الممكن أن يطول النقاش اللفظى إلى غير نهاية . ولذلك كان لابد أن نضع نهاية للمفاوضات العسكرية والسياسية . . فلا تختلف هذه اللجنة عن الأخرى . . لا فى مواقفنا . ولا فى مواقفهم . .

وقد أدت هذه المفاوضات المنقطعة إلى شعور باليأس وخيبة الأمل . . وتنبه الناس ، بعد أن نسوا ذلك بعض الوقت ، إلى أننا نتفاوض اليهود . . أكبر سماسرة فى التاريخ . وأننا يجب أن نفطن إلى هذه الحقيقة كلما جلسنا إليهم . وأنه من الصعب أن نغير طباعهم أو تكوينهم أو أن نزيل رواسب التاريخ الأسود المرير ، فى لقاء واحد . إنه شىء صعب . فالمبادرة قد غيرت «مسار» الأشياء ، ولكنها لم تغير «طبائع» الأشياء . .

والمبادرة الخاطفة الباهرة قد اختصرت من سنوات الحوار والمفاوضات السرية والعلنية عشرين عاما .

ولكننا لم نسأل أنفسنا : اختصرت عشرين عاما من كم من الأعوام ؟

اختصرت عشرين من ثلاثين ؟ إذن فأمامنا عشر سنوات . . أو هل اختصرت عشرين عاما من ٢٥ عاما ، إذن أمامنا خمس سنوات . .

أى أن الباقى أمامنا سنوات طويلة . وقد نسينا ذلك .

ونسينا أن فك الاشتباك الأول قد استغرق ٢٦ جلسة . مع أن فض الاشتباك قد أسفر عن مساحات ضئيلة من الأرض وكذلك فك الاشتباك الثانى . . وأن أمريكا نفسها قد أمضت سنوات تبحث عن شكل «ترابيزة» المفاوضات مع فيتنام . . وأن أمريكا نفسها وبجلال قدرها وجبروتها لم تنته بعد من مفاوضاتها مع بناما ، منذ ١٣ عاما – أقوى دولة فى أمريكا وفى العالم ، مع أصغر دولة فى أمريكا كلها !

وتساءل اليهود : لماذا هم عصبيون هؤلاء المصريون ؟ لماذا يفرضون مزاجهم علينا . . لماذا هم يتعجلون النتائج ولا يرون إلا مشاكلهم دون أن ينظروا إلى مشاكلنا وأحزابنا الدينية والسياسية و «تركيبتنا» الاجتماعية الشديدة التعقيد ؟

ولكن إسرائيل كاذبة فى هذا الموقف ، لأنها لم تكتف المشاكل أمام المفاوضين ، وانما راحت تفتعل المعارك تهاجم الصحف المصرية وتهاجم المفاوض المصرى وخبراء الخارجية المصرية . . ثم تتهم الإعلام المصرى كله بأنه لليهود وعدو لإسرائيل . . كأن العداء لليهود غلطة يجب التكفير عنها . طبعا نحن كمسلمين أعداء لليهودية . . ونحن كمصريين أعداء لإسرائيل لاشك فى ذلك وليس من المعقول أن نحب شعبا أو دولة تحتل أرضنا ولا أن نقدس دينا يرى أن احتلال أرضنا واجب علينا وحق له !

ومثل هذه العبارات كان اليهود يستخدمونها ضد الأوروبيين لتخويفهم . ولكن الذى بيننا وبين إسرائيل حرب طويلة واستعداد لقتال طويل . . ولكننا لا نريد حربا ، وانما نريد سلاما . . فإذا كانوا لا يريدون الحرب وفى نفس الوقت يريدون السلام . . فيجب ألا نصدقهم . لأنهم هم أنفسهم بشر . ولأنهم قد تعبوا من كراهية العالم كله لهم . . فهم يلحون على ميزانية المواطن الأمريكى المسيحى واليهودى ايضا صداع فى رأس البشرية ، فالناس لديهم همومهم الاقتصادية الكثيرة . والبشرية من أولها لآخرها يجب ألا تموت من مناحم بيجين والآخرين من ذوى الأعناق الغليظة وأصحاب الهوس الدينى . .

■■■

وعندما اتجهت مصر إلى أمريكا لكى تعاونها على حل هذه المشاكل التى تتوالد بيننا وبين إسرائيل ، كان سبب ذلك أن أمريكا لها علاقة خاصة باسرائيل . وهذه العلاقة معروفة . وهى مبدئية . – أى أنه من مبادىء السياسة الأمريكية معاونة إسرائيل والإبقاء عليها فى جميع الأحوال . ولا أحد يعترض على ذلك . وحتى إذا اعترض ، فإنه لا يقدر على السياسة الأمريكية .

ومادامت أمريكا تعطى لإسرائيل كل ما تحتاجه من مال وطعام وسلاح ، فهى تستطيع أن تضع يدها على كتفيها وأن تفتح عينيها وأن تبصرها بخطورة الطريق المتشدد الذى تتخذه إسرائيل على المصالح الأمريكية فى المنطقة ، وعلى المصالح الإسرائيلية .

واسرائيل تعلم أنها «طفل رضيع» على صدر أمريكا . هذا الطفل لا يريد أن ينفطم مطلقا . وانما يظل يرضع اللبن والعسل والذهب والفانتوم إلى الأبد . . وفى نفس الوقت فإنه يبكى ويصرخ خوفا من المائة مليون عربى والسبعمائة مليون مسلم . وألفى مليون مسيحى عندهم من المتاعب أضعاف ما عند الشعب الإسرائيلى !

ولا شىء يجعل إسرائيل ، حكومة فقط ، تفقد أعصابها إلا الاتجاه إلى أمريكا . فإسرائيل تؤكد أن أمريكا ليس لها عليها . وأن أمريكا لا حق لها فى أن تتدخل فى سياستها . وأن إسرائيل دولة مستقلة ذات سيادة

أكارتر قال للسادات : انك الآن تنافسنى فى أمريكا ! !

● قالت إسرائيل إنها مضطرة لمواجهة الحملة الإعلامية الضخمة التى يشنها الرئيس السادات عليها فى أمريكا وأوروبا أيضا .

وأمريكا لأن لها مشاكل أخرى غير الضغط اليهودى الإعلامى والمالى والسياسى . تؤكد هى الأخرى أن لها حدودا فى الحركة وأن لها حدودا فى الضغط . وأنها لا تستطيع إلا القليل . وأن علينا أن نتفاهم معا . أى دون أن يكون هناك طرف ثالث .

وهى عقدة الدولة الصغيرة جدا . القوية بسبب دولة كبيرة جدا .

ولذلك انزعجت الحكومة الإسرائيلية من أن الرئيس السادات قد اتجه بمشاعره إلى الشعب الأمريكى وإلى الجاليات اليهودية فى أمريكا . وأحست الحكومة الإسرائيلية أن الرئيس السادات قد نقل القضية من محكمة صغيرة فى الإسماعيلية أو القاهرة أو القدس إلى محكمة دولية على كل شاشات التليفزيون فى كل بيت . لأن السادات يدعو للسلام الذى يحلم به كل إنسان وكل مجتمع وكل دولة وكل الشعب اليهودى والشعب المصرى والعربى أيضا .

وتخفيفا لهذه «العقدة» فإن الحكومة الأمريكية حاولت أن تتفادى أن تكون طرفا فى هذه القضية – وهو افتراض من الصعب تصديقه لأنها بالفعل طرف . ولأن السلاح الهائل الذى تعطيه لإسرائيل هو الذى جعلها فى حالة حرب مستمرة وفى حالة تصعيد دائم . وتشبث بالأرض طلبا للسلام !

ولذلك فإذا كانت أمريكا جادة فى دعوى السلام . فعليها أن تمسك يدها عن إعطاء السلاح بلا مبرر لإسرائيل – إلا إذا كانت إسرائيل تريد أن تحارب العرب ، والا أن تبيع السلاح لأفريقيا لكى تجعل هناك نقطا ساخنة فى العالم تهدد بها أمريكا لتشغل العالم عن النزاع العربى الإسرائيلى .

ولذلك طالب الرئيس السادات بنفس الأسلحة لمصر . . وطالب أيضا باعطائه أسلحة لكى يساعد بها الصومال وتشاد . لأن إسرائيل وليبيا والسوفيت يساعدون أثيوبيا

وكان الرئيس السادات قد شرح للرئيس كارتر فى أسوان موقف الصومال . وعرض عليه حاجة الرئيس سياد برى إلى الأسلحة . وطلب الرئيس كارتر توضيحا لموقف الرئيس الصومالى . ولذلك أعلن الرئيس الصومالى فى بيان بعد ذلك موقفه بوضوح .

وبعد ذلك قدمت له ألمانيا الغربية معونة عسكرية .

وبجزء من هذه المعونة اشترى أسلحة من مصر .

وكذلك تلقى معونات من السعودية ومن إيران .

وأعلن موسى ديان منذ أيام أن إسرائيل سوف تمضى فى مساعدة أثيوبيا .

وقال : لأن أثيوبيا صديق قديم . ولأن المسلمين سوف يحتلون البحر الأحمر . فلا يبقى أمام إسرائيل سوى أثيوبيا المسيحية . .

كما أن الرئيس السادات قد ناقش الموقف فى «القرن الأفريقى» مع الرئيس كارتر . وقد أضيفت الفقرة الخاصة بالقرن الأفريقى إلى البيان الذى أعلنه كارتر . وجاءت هذه الإضافة بعد أن طبع البيان . ولكن قبل توزيعه على أجهزة الإعلام العالمية . .

ولا تزال أمريكا بعيدة عن القارة الأفريقية وعن الأحداث الملتهبة الدامية التى تجرى . وسوف تزداد التهابا فى الشهور القادمة . .

وعندما زار الرئيس السادات أمريكا فى المرة السابقة . شرح للرئيس كارتر ماذا يجرى فى زائير . وكان يحمل معه تفويضا بهذا الحديث من الرئيس الفرنسى ديستان ومن الملك الحسن الثانى عاهل المغرب . وتدخلت فرنسا والمغرب ومصر فى زائير . وأنقذت الحكومة الحالية من التسلل والتمرد الشيوعى .

وفى هذه المرة تلقى الرئيس السادات برقيتين عاجلتين من الصومال وتشاد . وكان من نتيجة ذلك أن بحث الرئيس السادات مع الرئيس كارتر قضية القرن الأفريقى ، وأعلن الرئيس السادات حاجته إلى السلاح . تعادلا مع إسرائيل وتخفيفا للتصعيد . ولأن له التزامات أفريقية . .

وحرصا من أمريكا على تخفيف درجة حرارة النزاع العربى الإسرائيلى . نقلت إلى الطرفين ضرورة التزام الهدوء الإعلامى ووقف «الحرب الإعلامية الصاعقة» . . ولذلك اختفت التصريحات على أعلى المستويات . وفى نفس الوقت اختار الرئيسان كارتر والسادات عزلة كاملة بعيدة عن العدسات والميكروفونات . وجلس الرجلان أكثر من خمسين ساعة معا . وقد أحاطهما الجليد وقوات البحرية والصمت أيضا . وأرسلت إسرائيل موسى ديان ليكون فى أوروبا ثم ليصل إلى أمريكا قبيل نهاية زيارة الرئيس السادات . .

وأعلنت إسرائيل أنها مضطرة أن تواجه الحملة الإعلامية الضخمة التى يشنها الرئيس السادات على إسرائيل فى أمريكا وفى اوروبا أيضا . ثم إن إسرائيل شكت إلى أمريكا أن السادات قد أصبح نجما شعبيا بسبب الأحاديث الكثيرة التى يدلى بها

ولم تعرف أمريكا ما الذى تستطيع أن تفعله . فالصحف حرة وكذلك شركات التليفزيون . ثم إن السادات لأنه أصبح شعبيا . فلا يستطيع أى جهاز أن يتجاهله . بل إن محطات التليفزيون تعلن فى الصحف عن أنها سوف تذيع نصف حديث أو كل حديث السادات . لكى تتجه العيون إلى هذا البرنامج وما يسبقه وما يجىء بعده من إعلانات تجارية .

وقد أعلن الرئيس كارتر فى أسوان للرئيس السادات قائلا : إنك الآن تنافسنى فى أمريكا ! بل إنهم فى أمريكا قد انتقدوا

الرئيس السادات فى لقاء مع د. هنرى كيسنجر وزير خارجية أمريكا السابق الذى أجرى على امتداد ٢٦ جلسة . . فك الاشتباك الأول

● الرئيس السادات مع الزعماء اليهود فى أمريكا . يقول الاسرائيليون إن السادات يتجه إليهم كأنهم «أولياء أمور» يهود إسرائيل !

فترات متباعدة . حتى يعتاد الطرفان على هذا «الجو» الهادىء لحوار طويل . ومن الضرورى أن يكون هادئا ومن المنطق أن يكون طويلا . .

وهناك اجتهادات عصبية لحل المشكلة المعقدة الأطراف الغامضة الجوانب .

من بين هذه الاجتهادات : أن تقوم سوريا بابتلاع جانب من لبنان يضم الفلسطينيين . ويعلن قيام دولة لبنان المارونية المستقلة . .

وقد وعدت إسرائيل بمساندة الدولة الجديدة . وفى العام الماضى عرض وزير خارجية أمريكا على الرئيس السادات تعهدا كتابيا من مناحم بيجين بأنه سوف يساند هذه الدولة وأن هذا التعهد أخلاقى . وأنه جاء بعد إلحاح من زعماء لبنان بقيام هذه الدولة !

وسوف تبتلع الأردن الضفة الغربية بالاتفاق مع إسرائيل وتتعهد منها أيضا . وخصوصا أن العلاقات بين الأردن وإسرائيل لم تنقطع فى أى وقت . وعلى أعلى المستويات !

وهناك اجتهاد آخر هو أن تعلن منظمة التحرير الفلسطينية أنها لم توكل مصر فى الدفاع عنها . وعلى ذلك فليس لأحد الحق فى أن يتحدث باسم الشعب الفلسطينى . ولما كانت مصر ترى أن «المنظمة» هى الممثل الشرعى . فسحب هذا التوكيل من الممثل الشرعى . يعنى أن المنظمة سوف تترافع عن نفسها . . ويعنى أيضا أن مصر يجب أن تنشغل بانسحاب القوات الإسرائيلية من سيناء . .

وهذا من شأنه أن يجعل مصر تدخل فى مفاوضات مع إسرائيل من أجل حل منفرد . ورغم أن مصر تفادت الحل المنفرد فإن المنظمة ودول الرفض معها قد دفعت مصر إلى ذلك

ويفضى أصحاب هذا الاجتهاد إلى القول بأن مصر ستدعو لقمة عربية وتعرض فيه تفاصيل ما حدث . وأنها مضطرة

الى أن تحل وحدها . . وأن مصر لديها من المشاكل الداخلية ما تنوء به الجبال . وأن الشعب المصرى قد تحمل كثيرا جدا . وأن من حقه أن يستريح . وأنه لا يطلب تعويضا ماليا من أحد وإنما تكفيه موارده لو أنها اتجهت جميعا إلى البناء والتعمير . .

وهناك اجتهاد بأنه من الممكن أن يسقط بيجين . وتجىء حكومة أكثر اعتدالا . وأن هذه الحكومة المعتدلة سوف تمضى بخطوات أوضح وأوسع إلى السلام . ولكن الذى يتابع تاريخ الحكم فى إسرائيل يجد أن المتشددين يكسبون فى النهاية . وأن الشعب الإسرائيلى العنيد سوف يتمسك ببيجين . والشعب قد أتى به إلى الحكم لأنه متشدد دينيا وسياسيا . بل إن الأرقام تؤكد أن شعبيته قد زادت هذه الأيام . .

ثم إن اليهود يعزفون لحنا اسمه : الزمن . .

فهم بعد حرب ١٩٦٧ أعلنوا أن العرب سوف يعتادون على الأوضاع الحالية . أو الحدود العسكرية . . وسوف تصبح الحدود العسكرية حدودا سياسية . . والى الأبد !

وموسى ديان هو الذى روى فى التليفزيون الإسرائيلى هذه النكتة : أن ملكا إسرائيليا كان عنده حصان . وكان يحب هذا الحصان جدا . ولكنه حزين لأن الحصان لا يشاركه طعامه . فلا يأكل الأرز واللحم . فأتى بواحد من الحكماء وطلب إليه أن يعلم الحصان كيف يأكل اللحم . وفكر الرجل الحكيم وقال : ممكن يا مولانا . وسأله الملك : كم تحتاج من الوقت ؟ قال : أحتاج إلى عشرين عاما ! وسأله الملك : ألا ترى أن هذا وقت طويل جدا .

وكان رد الرجل الحكيم : لو كان خروفا لعلمته ذلك فى خمس سنوات . . ولكنه حصان يا مولانا !

ووافق الملك . وذهب الناس إلى الرجل الحكيم يسألونه كيف وافق على تعليم الحصان أن يأكل لحما . وكان رد الرجل : السبب بسيط جدا . . فبعد عشرين عاما . . إما أن يموت الحصان أو يموت الملك أو أموت أنا !

ولهذا السبب فإن مصر حريصة على ألا تقع فى مصيدة (الزمن) وأن تمضى نحو التسوية للقضية . فالذى تريده واضح ولكن الذى تريده إسرائيل ليس واضحا .

فهى على المستوى الرسمى تقول كلاما . وعلى ألسنة الوزراء تقول كلاما آخر . .

وفى اللجنة السياسية تقول كلاما ثالثا وفى اللجنة العسكرية تقول كلاما رابعا . . أما الكلام الخامس فهو الذى يقال لنا خارج اللجنتين أو فى الطريق إليهما أو فى الحفلات الرسمية . .

إن إسرائيل يجب أن تكون أوضح وألا تضيع هذه الفرصة النادرة . حتى لا يتورط العالم كله فى مواجهة نووية . سوف تكون إسرائيل أولى ضحاياها . . وإذا لم تكن حرب فسوف تعود إسرائيل إلى إلقاء نفسها فى البحر : بحر الكراهية والحقد والمرارة حتى يهجرها أبناؤها . . أو حتى تتمزق أحزابها السياسية والدينية وتقضى إسرائيل على نفسها . ويصدق عليها كل ما جاء فى التوراة من أنها شعب استباح دم أبنائه وأعدائه أيضا . . فأباحت كل الشعوب دمها !

أنيس منصور